



+ آباؤنا القديسون

شخصيات من الكتاب المقدس

* صموئيل

في العشرين من شهر آب تعيد كنيسةنا المقدسة لصموئيل النبي.

إن قصة صموئيل من أحلى القصص التي استخدمتها الأمهات في تربية أولادهن تربية صحيحة وسليمة أمام الله والناس. صموئيل اسم عبري معناه " اسم الله او اسمه إيل أي الله." هو أول الأنبياء بعد موسى وآخر القضاة. كان أبوه ألقانة لاوياً وينتسب الى صوفاني أو صوف (١ صم ١:١) والى عشيرة قهات من سبط أفرايم. وقد عاش ألقانة في الرامة وكانت له امرأتان فنّنة وحنّنة (١ صم ١:٢) ، ولم يكن لحنّنة أولاداً ، فصلّت الى الرب بجرارة ودموع وطلبت ابناً ونذرت للرب كل أيام حياته (١ صم ١: ٩-١١) فاستجاب الله دعائها ورزقت ولداً فسّمته صموئيل ، وحين فطمته أتت به الى مقدس الرب في شيلوه الى عالي الكاهن ليدرّبه على خدمة الرب (١ صم ١: ١٩-٢٨)

كانت حنة أم صموئيل معلّمه الأول الذي أعده وكرّسه للخدمة المقدسة ، وكانت من أعظم السيدات اللواتي ظهرن في التاريخ المقدس. فكلامها لعالي الكاهن الذي اهتمها بالسكر فيما كانت تتألم ، يدلّ على انتصار روحها ، لأنها شربت عميقاً من ينبوع النعمة الإلهية وأعطت أبنها ليشرب معها : " لا يا سيدي إني امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمراً ولا مسكراً بل أسكب نفسي امام الرب ، لا تحسب أمتك ابنة بليعال (اسم عبري معناه عدم الفائدة او شرير ويستعمل اسماً للشيطان) لأني من كثرة كربتي وغيظي قد تكلمت الى الآن " (١ صم ١: ١٤-١٦). لقد تأثر صموئيل أبلغ التأثر بأمه فكانت مثاله في التضحية والخدمة.

أصعدت حنة وزوجها ابنيهما الى شيلوه (مدينة تبعد ١٧ ميلاً شمالي أورشليم اختارها يشوع مقراً للتابوت والخيمة) الى عالي الكاهن الذي استلمه وأحبه وأعدّه أحسن إعداد كولد له، ليأخذ مكانه في الكهنوت ، لأنه فشل في تربية ولديه حفني وفينحاس. " وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبي متمنطق بأفود من كتان " (١ صم ٢: ١٨) وهو الثوب الذي يرتديه الكهنة العاديون وحتى عامة الشعب أثناء خدمة الهيكل. وعاش في الهيكل الى جلنب عالي الكاهن ما بين الخامسة او السادسة من عمره الى الثانية والثلاثين حين مات عالي الكاهن ... وكان ينام في غرفة متصلة بالهيكل ، ويفتح أبوابه في الصباح ويساعد عالي في الخدمة (١ صم ٣: ١ و ٣ و ١٥) . ولم يكن قد تجاوز أول حدثاته لما أعلن الله له أنه يقضي على بيت عالي الى الأبد بسبب الشر الذي صنعه إبنه ولم يردعهما (١ صم ٣: ١-١٨).



+ آباؤنا القديسون

ومهما تكن علاقة صموئيل بأمه أو بعالي ومهما تكن الآثار المترتبة على تعاليمهما له، فإن الأثر الأعماق والأبعد في حياته هو اللقاء الشخصي مع الله. لقد عرف صموئيل الله في سن مبكرة جداً، عندما ناداه الله " صموئيل " ثلاث مرات متتالية، وكان في الثانية عشرة من عمره على الأغلب. فشكّل هذا الحدث ولادة جديدة له رغم أنه لم يدرك هذه الحقيقة. صوت الله جاء ليؤكد له وجود الله وكرهيته العميقة للخطيئة وعقابه القاسي عليها، وفي الوقت عينه يفتح أمامه الطريق إلى الشركة الخصبة العميقة القوية مع الله " وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض. وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبياً للرب. وعاد الرب يتراءى في شيلوه لأن الرب استعلن لصموئيل في شيلوه بكلمة الرب " (١ صم ٣ : ١٩-٢١).

لم تكن معركة صموئيل الأولى مع الفلسطينيين - الذين حاربوا الشعب العبراني واستولوا على تابوت العهد - بل مع الخطيئة والشر. لقد عاش صموئيل عشرين عاماً بعد موت عالي (١ صم ٤ : ١٢-١٨) يعدّ بلاده ومواطنيه للنهضة الحقيقية والإصلاح الداخلي والحركة التحرير التي قاد بها الأمة وهو في الثانية والخمسين من العمر، فحثّ أولاً الشعب العبراني على التوبة بعد الألم : " وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب " (١ صم ٧ : ٢). وكانت الخطوة الثانية نزع الأصنام التي أخذوها عن الوثنيين حولهم، لأنهما تربطهم بالعالم وشهواته وفجوره. ثم كان عليهم أن يعدّوا قلوبهم بالتأمل والعزم واختيار الله. ثم دعاهم إلى الربطة الروحية عندما جمعهم في المصفاة (١ صم ٧ : ٥-٦) لأن يقينه كان أن الإصلاح الحقيقي هو الذي يتجاوز الفرد والأسرة ليشمل الأبناء المتفرّقين ويجمع شملهم في وحدة. هذه الرابطة الروحية تجلّت في صلاة العبرانيين مصحوبة بالصوم، وسكبوا هناك ماءً، دليل القلب المسكوب التائب، وكما يرجع الماء المهراق مرة أخرى تعهدوا ألا يرجعوا إلى آثامهم وخطاياهم وشرورهم وفسادهم، وإلى الآلهة الغريبة التي عبدوها : " فاجتمعوا إلى المصفاة واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا " (١ صم ٧ : ٦).

عندما اجتمع العبرانيون في المصفاة مع صموئيل رأى الفلسطينيين في هذا التجمع نوعاً من الثورة والتمرد (١ صم ٧ : ٧) وأرادوا القضاء على العبرانيين، فظهروا بغتة أمام المجتمعين للصلاة، وكان العبرانيون أعجز وأضعف من أن يواجهوهم لكن سلاحهم الأول والأخير كان الصراخ إلى الله، فطلبوا من صموئيل أن يصوخ إلى الله من أجلهم، فقدم صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده محرقة إلى الله دليل التسليم الكلي والخضوع التام للمشئنة الإلهية. وعندما تقدّم الفلسطينيون للمعركة، أرعدت السماء وصبت الصواعق على رؤوسهم، ليعلم الجميع أن النجاة والنصرة من الله وليست نتيجة جهد بشري بل هي بالأحرى نتيجة الصلاة. " فأخذ صموئيل حجراً ونصبه بين المصفاة والسن ودعا اسمه حجر المعونة وقال إلى هنا أعاننا الرب " (١ صم ٧ : ١٢). وقد أظهرت هذه النجاة أن الله أقام صموئيل قاضياً أي مدافعاً عن شعبه ورئيساً له، فكان يجول كل سنة في بيت إيل والجبلجال والمصفاة



+ آباؤنا القديسون

ولكنه كان مقيماً في الرامة التي تبعد ثلاثة عشر ميلاً من شيلوه ، حيث ناداه الله في المرة الأولى ، وهناك جمع جماعة الأنبياء ليساعدوه في عمل الإصلاح (١ صم ٧ : ١٥-١٧ ، ١٩ : ١٨-٢٠). وهناك بني مذبحاً للرب لأن الله ترك شيلوه وكان تابوت العهد منكوثاً لأن بني إسرائيل نقضوه بالعبادة الوثنية والرجاسة ، فكان صموئيل يمثل الرب الذي ظهر لموسى على جبل سيناء.

كان صموئيل القاضي الخامس عشر من قضاة إسرائيل ، كما كان النبي الأول من سلسلة الأنبياء التي تعاقبت بعده. فلما شاخ جعل ابنه قاضيين لإسرائيل في بئر سبع (١ صم ٨ : ٢) ولكنهم لم يكونا حديرين بثقة والدهما لأنهما " اخذا رشوة و عوجا القضاء " (١ صم ٨ : ٣). ونتيجة سوء تصرفهما هذا وخطر الشعوب المجاورة وتقدم صموئيل في السن طلب شيوخ الشعب منه إقامة ملك عليهم ، فأمره الله بأن يسمح شاوول لكن شاوول سار لفترة مع الله ثم حاد عن وصاياه ، فأمر الله صموئيل بأن يسمح داود ملكاً بدل شاوول (١ صم ١٦). ومات صموئيل لما كان داود هارباً من وجه شاوول في بركة عين جدي ، ودفن في بيته في الرامة بعد أن ندبه جميع بني إسرائيل (١ صم ٢٥ : ١).

من المعتقد أن صموئيل خدم الشعب أربعاً وخمسين سنة ، ومات في السادسة والثمانين من عمره. ويعتبر صموئيل من رجالات العهد القديم الذين سلكوا بالإيمان وقادوا شعب الله (عب ١١ : ٣٢). لقد امتاز بحياة النقاوة منذ ولادته فاستأهل وهو في الثانية عشرة من عمره أن يكلمه الله. وقد عاش حياة طاعة كاملة لأبويه أولاً - وقد قَبِل نذر أمه " ان تعطيه للرب كل أيام حياته " (١ صم ١ : ١١) - ثم للكاهن عالي ، وخصوصاً للرب ، كما تحلّى بالوداعة والتواضع وقد حملت له وداعته جزاءً كبيراً ، وعاش حياة الصبر والإيمان والشجاعة. ومنذ أن سمع صوت الله أدرك أن الصلاة ليست علاقة بين الله والإنسان وحسب أو لذة يشعر بها من يرفع عينيه الى السماء ، أو ملاذاً يلجأ إليه المتضايق والمتألم ، بل هي أكثر من ذلك ، لان الامتناع عن الصلاة بالنسبة اليه خطيئة فظيعة لا يستطيع أن يرتكبها :

" وأما أنا فحاشا لي أن أخطيء الى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم " (١ صم ١٢ : ٣٣). والى جانب هذا كله عاش صموئيل حياة العدالة وكان قاضياً للأمة وحاكماً لها لسنوات طوال.